بسم الله الرحمن الرحيم

حَقُّ الطَّرِيقِ 3 صَفَر 1448هـ

اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى؛ فَإِنَّ مَنِ اتَّقَى اللهَ وَقَاهُ، وَأَرْشَدَهُ إِلَى خَيْرِ أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ. وَتَقْوَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا: عَمَلٌ بِطَاعَةِ اللهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ؛ رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ، وَتَرْكٌ لِمَعْصِيَةِ اللهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ؛ خِيفَةَ عَذَابِ اللهِ.

عِبَادَ اللهِ: مِنْ أَجَلِّ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَينَا، وَأَعْظَمِ مِنَنِهِ: أَنْ هَدَانَا لِهَذَا الدِّينِ، وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَولَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾.

فَنِعْمَةُ الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ النِّعَمِ وَأَجَلُّهَا، وَقَدْ ضَلَّ عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَهَدَانَا اللَّهُ إِلَيْهِ بِفَضْلِهِ، فَأَتَمَّهُ وَرَضِيَهُ لَنَا، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الْيَومَ أَكمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

فَمَنْ أَكرَمَهُ اللَّهُ وَكَانَ مِنْ أَهلِ هَذَا الدِّينِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَشْعِرَ هَذَا الفَضْلَ الْعَظِيمَ، وَيَقْدُرَ قَدْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَقِيمَتَهَا، وَأَنْ يَعْرِفَ الْإِسْلَامَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَعْمَلَ بِمَا جَاءَ فِيهِ، وَيَحْذَرَ مِمَّا يُنَافِيهِ، وَأَنْ يَشْرُفَ وَيَعْتَزَّ بِكَوْنِهِ عَبْدًا لِلَّهِ، وَيَفْرَحَ بِعِبَادَتِهِ لِرَبِّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: وَإِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ الْعَظِيمَةِ عَلَيْنَا: أَنْ جَعَلَ هَذَا الدِّينَ مُحَافِظاً عَلَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ؛ فَالْمُسْلِمُ فِي كَنَفِ هَذَا الدِّينِ يَسْعَدُ بِحَيَاتِهِ، وَيَهْنَأُ بِعَيْشِهِ؛ إِذِ الدِّينُ فِيهِ حِفْظُ الْحُقُوقِ وَمُرَاعَاةُ الْمَصَالِحِ. وَمِنْ ذَلِكَ حُقُوقُ وَآدَابُ الطَّرِيقِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا، نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ ﷺ: «إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ». قَالَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ فِي

«الْمِنْهَاجِ»: وَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ سِيَاقِ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّهْيَ عَنْ ذَلِكَ لِلتَّنْزِيهِ؛ لِئَلَّا يَضْعُفَ الْجَالِسُ عَنْ أَدَاءِ الْحَقِّ الَّذِي عَلَيْهِ، وَأَشَارَ بِغَضِّ الْبَصَرِ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْفِتْنَةِ بِمَنْ يَمُرُّ مِنَ النِّسَاءِ وَغَيْرِهِنَّ، وَبِكَفِّ الْأَذَى إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الِاحْتِقَارِ وَالْغِيبَةِ وَنَحْوِهَا، وَبِرَدِّ السَّلَامِ إِلَى إِكْرَامِ الْمَارِّ، وَبِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَى اسْتِعْمَالِ جَمِيعِ مَا يُشْرَعُ وَتَرْكِ جَمِيعِ مَا لَا يُشْرَعُ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمِنْهَاجِ» أَيْضًا: هَذَا الْحَدِيثُ كَثِيرُ الْفَوَائِدِ، وَهُوَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْجَامِعَةِ، وَأَحْكَامُهُ ظَاهِرَةٌ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُجْتَنَبَ الْجُلُوسُ فِي الطُّرُقَاتِ لِهَذَا الْحَدِيثِ. وَيَدْخُلُ فِي كَفِّ الْأَذَى: اجْتِنَابُ الْغِيبَةِ، وَظَنِّ السُّوءِ، وَإِحْقَارِ بَعْضِ الْمَارِّينَ، وَتَضْيِيقِ الطَّرِيقِ، وَكَذَا إِذَا كَانَ الْقَاعِدُونَ مِمَّنْ يَهَابُهُمُ الْمَارُّونَ، أَوْ يَخَافُونَ مِنْهُمْ، وَيَمْتَنِعُونَ مِنَ الْمُرُورِ فِي أَشْغَالِهِمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ؛ لِكَوْنِهِمْ لَا يَجِدُونَ طَرِيقًا إِلَّا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ.

وَقَوْلُهُ ﷺ فِي بَيَانِ حُقُوقِ وَآدَابِ الطَّرِيقِ: «غَضُّ الْبَصَرِ». قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى»: تَعَمُّدُ النَّظَرِ يُوَرِّثُ الْقَلْبَ عَلَاقَةً يَتَعَذَّبُ بِهَا الْإِنْسَانُ، وَإِنْ قَوِيَتْ حَتَّى صَارَتْ غَرَامًا وَعِشْقًا زَادَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ، سَوَاءٌ قُدِّرَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْمَحْبُوبِ أَوْ عَاجِزٌ عَنْهُ؛ فَإِنْ كَانَ عَاجِزًا فَهُوَ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ مِنَ الْحُزْنِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَإِنْ كَانَ قَادِرًا فَهُوَ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ مِنْ خَوْفِ فِرَاقِهِ، وَمِنَ السَّعْيِ فِي تَأْلِيفِهِ وَأَسْبَابِ رِضَاهُ. اهـ

وَأَصْلُ ذَلِكَ وَمَبْدَؤُهُ مِنَ النَّظَرِ، فَلَوْ أَنَّ الْعَبْدَ غَضَّ بَصَرَهُ لَارْتَاحَتْ نَفْسُهُ وَارْتَاحَ قَلْبُهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾. وَالشَّرْعُ الْمُطَهَّرُ لَمْ يَغْفَلْ مَا قَدْ يَقَعُ مِنَ النَّاسِ بِدُونِ قَصْدٍ مِنْهُمْ، فَأَمَرَ مَنْ نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ بِدُونِ قَصْدٍ مِنْهُ أَنْ يَصْرِفَ بَصَرَهُ عَنْهَا، وَلَا يَتَمَادَى. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي». قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمِنْهَاجِ»: وَمَعْنَى نَظْرَةِ الْفُجَاءَةِ: أَنْ يَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى الْأَجْنَبِيَّةِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ ذَلِكَ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَصْرِفَ بَصَرَهُ فِي

الْحَالِ.

عِبَادَ اللهِ: مِنَ الْمُؤْسِفِ أَنْ نَرَى مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِهَذِهِ الْآدَابِ، وَلَا يَرْفَعُ لَهَا رَأْسًا، يُلْقِي زُبَالَتَهُ وَقُمَامَتَهُ فِي قَارِعَةِ الطَّرِيقِ غَيْرَ مُبَالٍ، أَوْ مَنْ يَمْشِي بِسَيَّارَتِهِ مُحْدِثًا أَصْوَاتًا مُزْعِجَةً، مَعَ التَّهَوُّرِ وَالِانْدِفَاعِ وَالطَّيْشِ، وَعَدَمِ مُرَاعَاةٍ لِأَرْوَاحِ النَّاسِ وَمُمْتَلَكَاتِهِمْ، أَوْ يَبْنِي عِمَارَتَهُ وَلَا يُبَالِي بِوَضْعِ الْحَدِيدِ وَالْأَتْرِبَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ مُتَطَلَّبَاتِ الْبِنَاءِ غَيْرَ مُرَاعٍ لِحُقُوقِ الْمَارَّةِ، يَتَوَسَّعُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً غَيْرَ مُبَالٍ بِحُقُوقِ غَيْرِهِ، وَمِنْ أَذِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ: تَحْوِيلُ الشَّوَارِعِ إِلَى مَلَاعِبَ لِلْكُرَةِ؛ مِمَّا يَتَسَبَّبُ بِكَثْرَةِ الصَّخَبِ وَالتَّجَمُّعَاتِ حَوْلَهَا؛ مِمَّا يُؤْذِي الْمَارَّةَ وَأَصْحَابَ الْبُيُوتِ الْمُجَاوِرَةِ، وَرُبَّمَا يَتَسَبَّبُ عَنْهُ أَضْرَارٌ كَثِيرَةٌ وَتَجَمُّعَاتٌ مَشْبُوهَةٌ، أَوْ مَنْ يَشْرَبُ عُلْبَةَ الْعَصِيرِ، ثُمَّ يَرْمِيهَا فِي قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، أَوْ يَتَنَاوَلُ بَعْضَ الطَّعَامِ، ثُمَّ يُلْقِي مَا بَقِيَ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ فِي قَارِعَةِ الطَّرِيقِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ النَّاظِرَ لِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حِفْظِ حُقُوقِ الطَّرِيقِ، وَمُرَاعَاةِ حُرْمَةِ النَّفْسِ وَالْعِبَادِ، حَتَّى فِي الْعِبَادَاتِ، يَرَى ذَلِكَ وَاضِحًا جَلِيًّا، فَلَمَّا خَرَجَ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ مُتَّجِهًا إِلَى مُزْدَلِفَةَ، وَالْجُمُوعُ الْغَفِيرَةُ مَعَهُ، كَانَ يَشُدُّ خِطَامَ نَاقَتِهِ إِلَى رَحْلِهِ؛ لِتَسِيرَ سَيْرًا هَادِئًا، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمِنَنِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُوَفَّقَ لِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَمُجَرَّدُ أَنَّكَ مُسْلِمٌ هَذِهِ تَكْفِيكَ لِتُكْسِبَكَ الْعِزَّةَ، فَلَا اعْتِزَازَ بِجِنْسٍ، وَلَا اعْتِزَازَ بِلَوْنٍ، وَلَا اعْتِزَازَ بِنَسَبٍ، وَلَا بِبَلَدٍ وَلَا افْتِخَارَ بِمَالٍ أَوْ ثَرْوَةٍ، فَكُلُّهَا عِزَّةٌ جَوْفَاءُ، تَقُومُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ، تَقُومُ عَلَى تَصَوُّرَاتٍ خَاطِئَةٍ وَقِيَمٍ زَائِلَةٍ. أَمَّا الِاعْتِزَازُ بِاللهِ فَبَاقٍ دَائِمًا لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: أَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ نِعْمَةً مِنْ أَنْ تَكُونَ مُسْلِمًا، تَنْتَمِي لِهَذَا الدِّينِ، وَتَتَعَبَّدُ بِهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟

عِنْدَمَا تَكُونُ مُسْلِمًا فَهَذَا يَعْنِي أَنَّكَ تَعْبُدُ الْخَالِقَ الْكَرِيمَ الَّذِي أَوْجَدَكَ وَرَزَقَكَ، وَيُدَبِّرُ أَمْرَكَ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ مَخْلُوقًا عَاجِزًا، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لَكَ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا. ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾.

عِنْدَمَا تَكُونُ مُسْلِمًا، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّكَ سَلَّمْتَ نَفْسَكَ لِلَّهِ لَا لِهَوَاكَ، فَأَنْتَ تَأْتَمِرُ بِأَمْرِ رَبٍّ خَبِيرٍ عَلِيمٍ، وَتَتَّبِعُ تَشْرِيعَهُ الْحَكِيمَ، الرَّبِّ الَّذِي أَسْمَاؤُهُ حُسْنَى، وَصِفَاتُهُ عُلْيَا، وَأَفعَالُهُ حَمِيدَةٌ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِعِبَادِهِ، وَأَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُهُمْ وَمَا يَصْلُحُ لَهُمْ، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾؟

عِنْدَمَا تَكُونُ مُسْلِمًا فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ دِينَكَ دِينُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، دِينُ الدَّعْوَةِ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ».

عِنْدَمَا تَكُونُ مُسْلِمًا فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ دِينَكَ دِينُ الشُّمُولِيَّةِ وَالْكَمَالِ، وَالْوَسَطِيَّةِ وَالِاعْتِدَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

عِنْدَمَا تَكُونُ مُسْلِمًا فَهَذَا يَعْنِي أَنَّكَ تَتَّبِعُ الْحُجَّةَ وَالْبُرْهَانَ، فَدِينُكَ دِينٌ يَحْفَظُ الْعُقُولَ، وَلَا يَقْبَلُ الْمُسْتَحِيلَاتِ وَالْخُرَافَاتِ، وَيَأْمُرُ بِالْعِلْمِ، وَيَذُمُّ الْجَهْلَ، لَا تَنَاقُضَ فِي أَحْكَامِهِ، وَلَا تَعَارُضَ فِي تَشْرِيعَاتِهِ.